﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾ [يس: 26 - 27]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

طـويَ مـصيرُ الرجلِ المؤمنِ، تبشيرًا بسلامةِ نبيِّنا، وتنزُّه قومِه عن قتلِه

لمّا كان مِنَ المعلوم - بما دلَّ عليه السّياقُ مِن صلابة الكافرين في تكذيبهم الرُّسلَ وتهديدِهم لهم، مع ما لهم مِنَ الآيات - أنَّهم لا يُبقون هذا الذي هو مِن مدينتهم، وقد صارحهم بما إنْ أغضَوا عنه فيه: انتَقَضَ عليهم تعلُّقُهم بشركِهم، والتفافُ القوم حولَهم: لم يذكرِ اللّه تعالى مصيرَه مع قومِه، ليكونَ مِنَ الأمور التي لا حاجةَ في ذكرِها، ولظهور العلم به مِنَ السّياق؛ فقال جوابًا لَمن تشوَّف إلى علم حاله بعد ذلك - إيجازًا في البيان، وترغيبًا لأهل الإيمان -: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾ الآيةَ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾: (كرم) أَصْلُ الكَرَم: شَرَفُ الشَّيءِ، يُقالُ: كَرُمَ الشَّيءُ يَكْرُمُ كَرَمًا، أَيْ: شَرُفَ، ورَجُلٌ كَريمٌ، أَيْ: شَريفٌ ذو فَضائِلَ[2]، والإكرامُ والتَّكريمُ: أن يوصَل إلى الإنسان نَفْعٌ لا يلحقه فيه غَضاضَةٌ، أو أن يجعل ما يوصل إليه شيئًا شريفًا[3]، والمُكَرَّمُ: الرَّجُلُ الكَريم عَلَى كُلِّ أَحد، ويَأْتي التَّكْريمُ بِمَعْنَى التَّفْضيلِ، والكَرَمُ: الفضلُ، ومنه قَوله تعالى: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ﴾ [الإسراء: 62] أَي: فضَّلتَ[4]، والمُرادُ بالمُكرَمينَ في الآيةِ: الَّذينَ تلحقُهُم كَرامةُ اللّهِ تَعالى وفضلُه، وهُمُ الملائكةُ والأَنبياءُ وأَفضلُ الصّالحينَ[5].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 114.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كرم).
(3) الراغب، المفردات، والفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز: 4/ 344.
(4) الأزهري، تهذيب اللغة: (كرم).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 371.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مِن شأن المؤمنِ المُخلصِ أنْ يحبَّ الخيرَ للنّاس جميعًا

قيل لهذا الرَّجُلِ المؤمِنِ حينَ قتَلَه قَومُه: ادخُلِ الجنَّةَ، قالَ: يا ليتَ قومي يعلمون بما أنا فيه مِن نعيمٍ، وخيرٍ عميم، لإيماني بربّي، وتصديقي برُسُلِه، وصبري على أذى قومي، وإنَّما تمنَّى عِلمَ قومه بحاله، ليحملهم ذلك على اكتساب المثوبة مثله؛ بالتَّوبة عنِ الكفر، والدُّخول في حظيرة الإيمان والطّاعة، اتِّباعًا لسنن أولياء اللّه الَّذين يكظمون الغيظ، ويترحَّمون على الأعداء[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الفصلِ:

جاء قوله تعالى: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ﴾ على طريق الاستئناف البيانيِّ؛ لأنّ هذا مِن مظانِّ المسألة عن حاله عند لقاء ربّه، بعد أن قتله قومُه عند مواجهته لهم بذلك الخطاب الجزلِ، وإعلانِه الإيمانَ، كأنّ قائلًا قال: كيف كان لقاءُ ربّه بعد ذلك التصلُّب في نصرة دينه، والتّسخّي لوجهه الكريم بروحه؟ فقيل: ﴿ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾ الآيةَ[2].

ترويحُ المؤمنين بدخول جنَّة ربِّ العالمين

بلاغةُ الإيجازِ بالحذفِ:

في مجيءِ قوله: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾ بعد نُصحِه قومَه وإعلانِه إيمانَه: إشارةٌ إلى قتله شهيدًا في إعلاءِ كلمَة اللّه؛ لأنَّ تعقيبَ مَوعظته بأمره بدخول الجنَّة دُفعَةً بلا انتقالٍ يُفيدُ بدلالَةِ الاقتضاء أنَّهُ مات، وأنَّهم قتلوه، لمخالفته دينَهم؛ فإنَّه إذْ لم يَقُصَّ في المثلِ أنَّهُ غادَرَ مَقامَهَ الَّذي قامَ فيه بالموعظة كانَ ذلك إشارَةً إلى أنَّهُ مات في مقامِهِ ذلك، ويُفهَم منه أنَّهُ مات قَتيلًا في ذلك الوقت، أو بأثَرِه،

اللـهُ يعصِمُ رسولَه محمّدًا مِنَ النّاس

(1) الواحدي، الوسيط: 3/ 512، وأبو حيان، البحر المحيط: 9/ 58، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 572، والمراغي، تفسير المراغي: 22/ 154.

(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 11، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 370.

وإنَّما سَلَكَ في هذا المعنى طَريقَ الكِنايَةِ، ولم يُصَرِّح بأَنَّهم قتلوه، إغماضًا لهذا المعنى عنِ المُشركينَ، كيلا يَسُرَّهم أَنَّ قومهُ قتلوه، فيجعلوه من جملة ما ضُرِبَ به المثلُ لهم وللرَّسولِ ﷺ، فَيَطمعوا في قتله ﷺ ؛ فهذه الكناية لا يفهمُها إلّا أهلُ الإسلام الَّذينَ تَقَرَّرَ عندهم التَّلازُمُ بينَ الشَّهادَةِ في سَبيلِ اللّه ودخول الجَنَّةِ، أَمّا المشركون فيحسبون أَنَّ ذلك في الآخِرَةِ[1].

ففي الآيات حذفٌ معلومٌ منَ السّياق؛ إذ بعد قول الرّجل: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾ كلامٌ مُضْمَرٌ مكنيٌّ عنه، كما تقدَّم؛ أي: (فقُتل، فـ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾)[2]، وسببُ طيِّ الكلام ذكرُ المقصودِ الأهمِّ الذي عليه انصبابُ الكلام.

نُكتةُ التّعبيرِ بصيغةِ المبنيّ للمفعول:

ما أجمل إكرامَ اللهِ أهلَه الدّاعينَ إليه

بُنِي الفعل ﴿قِيلَ﴾ للمفعول؛ لأنَّ المقصود هو القول، وليس قائلَه، وقد يُراد مِن حذفِ الفاعلِ وبناءِ الفعلِ للمفعول الكثرةُ التي تُشْبِه العمومَ؛ دلالةً على إكرام الرّجلِ المؤمنِ في كلِّ أحواله في الآخرةِ؛ فمِن إكرامِه وهو يدخلُ الجنةَ أنْ يكونَ لدخوله احتفالٌ يظهرُ في أشياءَ كثيرةٍ، منها أن يُقالَ له مِن كثيرينَ مِنَ الملائكة وغيرِهم: ادخلِ الجنّةَ؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾؟ فيكون القائلون مِن تلك الجماعة المُكرَّمة.

دلالةُ حذْفِ الجارِّ والمجرورِ:

الرّجلُ المؤمنُ هو المُحتفَلُ به

جاءتِ الآيةُ بحذف الجارّ والمجرور: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾ ولم يُقل: (قيل له ادخل الجنَّة)، لانصباب الغرض إلى المَقول دون المَقول له، تعظيمًا له، ولأنَّه معلومٌ مِنَ السّياق[3]، أو لأنَّ القولَ المذكور هنا قَوْلٌ تَكْوينيٌّ، لا يُقصَدُ منه المُخاطَبُ به، بل يُقصد حكايةُ حصوله وكونِه؛

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 370.
(2) أبو حفص النسفي، التيسير في التفسير: 12/ 351.
(3) الزمخشري، الكشاف: 4/ 11.

لأنَّه إذا حصل حصل أثرُهُ، كقوله تعالى: ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾ [النَّحل: 40][1].

نُكتةُ التّعبيرِ بلفظ ﴿ٱدۡخُلِ﴾ مادّةً وصيغةً:

إكرامُه بإدخاله مأواه الأخيرَ باطنَ محيطِ الجنّة

عُبِّرَ في قوله تعالى: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾ بلفظ الدّخول الذي هو نقيضُ الخروج، للإشعار بأنَّه يلجُ الجنَّة، ويتغلغلُ فيها[2]، وهذا مِن إكرامِه، ولمّا كان لفظ الدّخول يفيد الانتقالَ إلى باطنِ محيطٍ أفاد أنَّه يكون في باطن محيط الجنَّة.

وعُبِّر بصيغة (افعل) الدّالَّةِ على طلب إحداث الفعل، على سبيل التّكريم والتّشريف، لتعلُّقِ طلب الدّخول بالجنَّة، وفيه إشعارٌ بتقريرِ تحقّق إيمانِه وقَبول الله تعالى له، وأنَّ الجنَّة مأوى المؤمنين.

دلالةُ لفظِ ﴿ٱدۡخُلِ﴾ بين الحقيقةِ والمجازِ:

مِن إكرامِ المؤمنِ إنباؤُه بأنَّ دخولَه الجنَّةَ مُتحقِّقٌ

يحتمل أن يكون لفظ ﴿ٱدۡخُلِ﴾ في قوله: ﴿ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾ على طريق المجاز، فإنَّه لمّا قُتلَ بُشّر بالجنَّة، بأنْ عُرض عليه مقعدُه منها، وتحقَّق أنّه مِن ساكنيها، برؤيته ما أقرَّ عينَه، فلمّا تحصَّل له ذلك: تمنَّى أن يُعْلِمَ قومَه بذلك، والمعنى: (ادخل الجنَّة إذا دخلها المؤمنون)، فالأمرُ بالدّخول مجازٌ عنِ التّبشير بالدّخول مع الدّاخلين في الآخرة، فهو مِن مجاز الصّيغة؛ ففائدتُه التّبشير والقطعُ بدخولِها في المستقبل، بمعنى أنّها قد وجبت له، فيكون قوله: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ قبل دخول الجنَّة، وبعد موته، إخبارًا عنِ المستقبل بصيَغ الماضي ﴿غَفَرَ﴾ و﴿وَجَعَلَنِي﴾ للإيذانِ بتحقّق وقوعِ دخول الجنّة مع المُكرَمين.

وقد يكون التّعبيرُ بالأمر بالدّخول على الحقيقة[3]، أي أنَّ هذا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 370.

(2) الراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل:(دخل).

(3) البغوي، معالم التنزيل: 4/ 12، والكرماني، لباب النّقول، ص: 2344، والزمخشري، الكشاف: 4/ 11، وابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 451، والبيضاوي، أنوار التّنزيل: 4/ 266.

الرّجلَ المؤمنَ قد أُدخِلَ الجنَّةَ عقبَ موته؛ لأنَّه كان مِنَ الشّهداء، والشُّهَداءُ لهم مزيَّة التَّعجيلِ بدخولِ الجَنَّةِ دخولًا غيرَ موَسَّع[1]، فهو فيها حيٌّ يُرزق، فيكون المعنى: فلمّا دخلها، وأفضى إلى الجنَّة، وعايَنَ ما أكرمه الله به فيها لإيمانه: ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾[2].

فائدةُ (أل) في قولِه ﴿ٱلۡجَنَّةَۖ﴾:

(أل) في قولِه تعالى: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾ للعهد الذهنيّ بمعنى الجنَّةِ المعهودة التي وعدها الله المؤمنين، وقد علِم الرّجلُ المؤمن مِنَ الرّسل أنَّ في الآخرة نارًا وجنَّةً وغيرَ ذلك.

بلاغةُ الإيجازِ بالحذف:

في قوله: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ﴾ حذفٌ، وتقديرُ الكلام: (قيل ادخل الجنَّة، فلمّا دخلها، وعاين ما أكرمه الله به: قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين)[3]، ونُكتةُ الحذف: الإشعارُ بتذكّر قومِه، وسرعة قولِه، رغبةً منه في إيمانهم، والمعنى أنَّه لم يُلهه دخولُه الجنَّةَ عن حالِ قومه، فتمنَّى أن يعلموا ماذا لَقيَ من ربِّه ليعْلَموا فَضيلَةَ الإيمان فيؤمنوا؛ وما تمنَّى هلاكَهم ولا الشَّماتةَ بهم؛ فكان مُتَّسِمًا بكظم الغيظ وبالحِلْم على أَهلِ الجهلِ، وذلك لأَنَّ عالَم الحقائق لا تَتَوَجَّهُ فيه النَّفْسُ إلَّا إلى الصَّلاحِ المحضِ ولا قيمَةَ لِلحُظوظِ الدَّنيَّةِ وسَفسافِ الأمورِ[4].

تـمـنّـى الـخـيـرَ لقومه، بمجرّد تبشيرِ الله له

بلاغةُ الفصلِ:

لمّا أخبر الله تعالى عنِ الرّجل المؤمن بأنَّه ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾ كأنَّه قيل: فماذا قال بعد أنْ دخل الجنَّة، ورأى نعيمَ الله فيها؟

تَـرقّـبُ السّـامعِ مـا سـيـقـولُـه من أكـرَمَـه الله بدخول الجنّة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 370.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 509.
(3) مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية: 9/ 6023، والواحدي، التفسير الوسيط: 3/ 512.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 370.

لِأَنَّ السّامِعَ يَتَرَقَّبُ ماذا قالَ حينَ غَمَرَهُ الفَرَحُ بِدُخولِ الجَنَّةِ، وأكرمه فيها؛ فجاء قوله على طريق الاستئناف البيانيّ: ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ﴾.

فائدةُ دخولِ (يا) على (لَيتَ):

(يـا) لـلـنّـداءِ أو للتّنبيهِ

لمّا كان الأصلُ في حرف النّداء أنْ يَدخل على المُنادَى لطلب إقبالِه: كان دخولُ (يا) على (لَيتَ) في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ﴾ بتقدير: (يا هؤلاء)، أو: (يا أيُّها العقلاء ليت قومي)، فكأنَّه يُنادي كلَّ سامعٍ عاقلٍ، ليَسمع ما يتمنّاه، إشعارًا بعِظَم المُتمنَّى، ويَحتمل أنْ يكون حرفُ (يا) للتّنبيه[1]، أي: لتنبيه المخاطَبين والعقلاء إلى عِظَم المتمنَّى، فالمآلُ والمقصد واحدٌ.

سببُ إيرادِ التّمنّي:

يتمنَّى المؤمنُ بعد موته أن يعلم النّاسُ بحاله ومآله وحميدِ عاقبته

عبّر بـ(لَيتَ) في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ﴾ للإيذان بتمنّي الرّجل طلبَ كونِ غيرِ الواقع فيما مضَى - وهو علْمُ القوم بما غفر له ربُّه - واقعًا فيه؛ مع أنَّه يعلمُ يقينًا أنَّ هذا العلمَ لا يحصل لهم؛ لِحُكْم العقل بامتناعه، والمعنى: أنَّه تمنّى أن يعلموا حاله، ليعلموا حُسْن مآله، وحميدَ عاقبته، ليؤمنوا مِثْلَ إيمانه، فيصيروا إلى مِثْل حاله[2].

فيتولَّد منَ التّمنّي الإشفاقُ والنُّصحُ لهم، فيكون قد نَصَحَ قَوْمَهُ في حياته بقوله: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ وبعد مماته في قوله ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾[3]، والمعنى: لو علموا بذلك لآمنوا باللّه تعالى، واستوجبوا مثل ما استوجبتُ مِنَ

(1) ابن هشام، مغني اللبيب، ص: 488.
(2) الماوردي، النكت والعيون: 5/ 14، والبغوي، معالم التنزيل: 4/ 12.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 266، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 572، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 118.

الإفضاء إلى الجنَّة[1]، ويَحتمل أن يكون المتولّد مِنَ التّمنّي التّنديمُ، أي: إن علموا ذلك ندموا على كفرِهم، وما فعلوه به[2].

ويصحُّ الجمعُ بين المعنَيَيْن، أي بين النّصح والتّنديم، ولا إشكالَ في الجمعِ بينهما، فيفيد التّعبيرُ بصيغة التّمنّي الإشعارَ بعِظم مغفرةِ اللّه له ورحمتِه به وإكرامِه، وبحسرتِه على قومِه الكافرين، ورغبتِه في علمِ قومِه بإكرامِه، ليندموا على ما فعلوه، وفيه تذكيرٌ للمخاطَبين وتوجيهُهُم إلى سرعة الاستدراك قبل فواتِ الأوانِ، حيث لا ينفع النّدمُ.

نُكتةُ تعْديةِ الفعل (عَلِمَ) بالباء:

التَّضمينُ ضَرْبٌ مِـن ضُـروبِ إيجازِ القِصَر

لمّا كان الفعل (علِم) يتعدَّى إلى مفعولين: كانت تعديتُه بالباء في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ على خلاف مقتضَى الظّاهر، والنّكتةُ فيه: تضمينُ الفعل (علم) معنى (شعر)؛ فإنَّه إذا قيل: (عَلِمْت بالشيء) كان بمعنى: (شَعَرْت به)[3]، ليفيد أنَّه تمنَّى أن يحصل العلمُ بمغفرة اللّه له عندَ قومِه، ولو كان علمًا قليلًا، بأن يكونَ على جهة الشّعور به.

ويَحتمل أن يكون اقترانُ الباء بالفعل (علم) على معنى تمنّيه أن يكونوا موضع علمِه بما غفر له ربُّه، كما يُقال (علمت به)، و(ظننت به) بمعنى: جعلته موضع علمي أو ظنّي[4]، ولمّا كان المراد توصيفَ الحالة، وليس العلمَ بذاتٍ معيّنة: عُدّي الفعلُ بالباء، فإنَّ العلم بالشّيء يختلف عن علم الشّيء؛ لأنَّ الأوّل على معنى العلم بالحال، بأن تكون حالًا متجدّدةً، وهيئةً مركّبةً، والثّاني على معنى

(1) مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية: 9/ 6023، والزمخشري، الكشاف: 4/ 11.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 451.
(3) المعافري، الأفعال: 2/ 343، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (علم).
(4) الشاطبي، المقاصد الشافية شرح ألفية ابن مالك: 3/ 624.

العلم بالذّات، والحقيقة، وإدراكِها[1]، والمعنى في الآية: يا ليت قومي يعلمون بحالي، أي: مغفرة اللّه له، وجعله مِنَ المُكرَمين.

فائدةُ العدولِ عنِ المفردِ إلى الجمع في قولِه: ﴿مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾:

المبالغةُ في إكرامِ المؤمنِ في الجنَّة بجعلِه مع المُكرَمين أُنسًا بهم وفرحًا بجمعِهم

الأصلُ في نظم الصّفةِ للموصوفِ المفرد أن تكون مفردة، فكان الظّاهرُ على الأصل أن يقال: (وجعلني مُكرَما) على أنَّ (مُكرَما) وصفٌ في المعنى للمفعول في ﴿وَجَعَلَنِي﴾، ولكنَّ القرآن عدَل عن الإفراد إلى الجمع فقال: ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾؛ لأنَّ هذا الرَّجُلَ المُحدَّثَ عنه قد أهانَه قومُه، ففتكوا به، وقتلوه، فثار بينهم وبينه الجفاءُ والبغضُ والعداوةُ والفُرْقةُ؛ فجعَل اللّهُ مِن نعيمِه وثوابِه أن يكونَ واحدًا مِن جماعةٍ تُؤْنِسُه، فأبدله اللّه بالجماعة الكافرة جماعةً مُكْرَمةً، يُكْرَمُ معهم؛ كما أكرم قومَه، وتلطَّفَ معهم، والأنسُ أعظمُ فوزٍ[2]، وفي العدولُ ميزةُ مراعاةِ الفاصلة، والمراد بالمكرَمين الَّذينَ تَلْحَقُهُمْ كَرامَةُ اللَّهِ تَعالَى وهُمُ المَلائِكَةُ والأَنْبياءُ وأَفْضَلُ الصّالِحينَ[3].

فائدةُ (أل) في قولِه ﴿ٱلْمُكْرَمِينَ﴾:

إكرامُ العظيمِ عظيمٌ

(أل) في قوله: ﴿ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ للاستغراق، فيدخلُ في اللَّفظ كلُّ مُكرَمٍ بعدَ الممات، والاستغراقُ مخصوصٌ بمَن هو مِثْلُ الرجل الذي جاء مِن أقصى المدينة يسعى في عمله، وفي مقابلتِه إحسانَه إلى النّاس بالإساءة والإهانة، بقرينة السّياق، ولأنّ الجنان درجاتٌ، والناس فيها درجات ورُتَب أيضًا، ويَحتمل أن تكون للعهد الذِّهنيِّ، أي: وجعلني من جملة الذين علموا بأنَّهم مُكرَمون[4]، أو ممّن عُرفت حالُهم بأنَّهم مُكرَمون.

(1) السامرائي، معاني النحو: 3/ 32.
(2) طه السيد، البلاغة القرآنية في تفسير البقاعي، الإفراد والتثنية والجمع أنموذجا: 2/ 228 - 230.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 268.
(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 118.

نُكتةُ التّعبيرِ بلفظ ﴿ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾:

عبَّر بالإكرام في قوله: ﴿مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ للإشعار بأنَّه أُعطي المنزلةَ الرّفيعةَ في الجنَّة على جهة التّعظيم، ولمّا كان المُكرَمُ على ضِدِّ المُهانِ، وكانت الإهانَةُ بالحاجَةِ: كان الإكرامُ فيه معنى الاستغناء، أي: الذي يعطيه الله تعالى الحاجاتِ التي تنفعه؛ بحيث يَستغني بها ولا تلحقه بها غضاضةٌ، مع شرف هذه الحاجات ورفعتِها[1]، وليُنبِّهَ على أنَّ الله عوَّضَه عنِ الإهانة التي عاناها مِن قومه بالإكرامِ.

إكرامُ الله تعالى رفعةٌ وشرفٌ

بلاغةُ الكنايةِ:

لمّا كان الإكرامُ ضدَّ الإهانةِ، وكان الإكرامُ مِنَ الله على معنى الفضل والثّواب: أفاد الكلام أنَّ مَن لم يؤمن بالله تعالى وبالمرسَلين فليس له إلّا الإهانةُ يوم القيامةِ، ولا تكون الإهانة إلّا عقابًا مِنَ الله تعالى، فالمؤمن مِنَ المكرمين بالثّواب، والكافر مِنَ المُهانين بالعقاب[2].

حالُ الطّائعينَ فيه عبرةٌ للعاصين

فائدةُ حذفِ مُتعلَّقِ اسمِ المفعول:

حُذف متعلَّقُ قولِه: ﴿ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ ليفيد العمومَ، تنبيهًا على عِظَم الإكرامِ والنَّعيم، والمعنى: (وجعلني ممَّن أُكرِمَ بقَبول عمله، وممَّنْ أُحلَّ دارَ الكرامةِ وهي الجنَّة)[3]، وفيه ميزةُ التَّوافُقِ مع الفواصلِ السّابقةِ عليه، واللّاحقةِ له.

مظاهرُ الإكرامِ لا تُعدُّ ولا تُحصَى

دلالةُ (ما):

تَحتمل (ما) في قولِه تعالى: ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ أنْ تكون مصدريّةً، فتُؤوّلَ مع الفعل بمصدر، أي: (بمغفرة ربي لي) والمعنى أنّه تمنَّى أن يَعلمَ قومُه بأنّه غُفر له بإيمانه، فيرغبوا في الإيمان؛

إنَّ الصِّدْقَ في الإيمانِ سببُ كلِّ سعادةٍ للعبدِ في الدّارين

(1) ابن فورك، تفسير ابن فورك: 2/ 186، والراغب، المفردات: (كرم).
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 251.
(3) الماوردي، النكت والعيون: 5/ 14.

وفائدةُ التّعبير بالمصدر المؤوّلِ الإشعارُ بأنَّه تمنَّى عِلْمَهم بتحقّق مغفرةِ الله له، وبإكرامِه مِن غير أيِّ قيد، أو وصفٍ له.

ويَحتمل أن تكون (ما) خبريَّةً؛ بمعنى (الذي)، والعائدُ في قوله: ﴿غَفَرَ﴾ محذوفٌ؛ لإفادة العموم، أي: (بالذي غفر لي ربّي)، أي: بالشّيء الذي غفَر لي، فيكون تعبيرًا عنِ السّبب الذي غفر الله له به، وهو الإيمان؛ ليَحْمِلَهُم على الدّخول في الإيمانِ، أي: (ليؤمنوا هم أيضًا، فيغفرَ الله لهم، ويجعلَهم مِنَ المُكرَمين)، وهذه مرتبةُ أولياء اللَّه؛ يريدون الخير بمَن أراد بهم الشَّرَّ، ويتمنَّون أنْ لا يكون لله عاصٍ[1]، وفي الكلام تشويقٌ إلى طلب المغفرةِ، وأن لا يُغترَّ بالعبادةِ.

فائدةُ تقديمِ ﴿لِي﴾ على ﴿رَبِّي﴾:

قُدِّمَ الجارُّ والمجرور على الفاعل في قوله: ﴿غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ للإيذان بتحقّق مغفرةِ الله تعالى له، مع تقصيرِه في حقِّ الله؛ لأنّه يعتقد أنَّ أحدًا لا يُقدّر الله حقَّ قدره، وأنَّ دخولَ الجنّة مع المغفرة محضُ فضلٍ من الله، فهو كاملُ الإحساس بامتنان الله وإنعامِه عليه بذلك، ولشدّة فرحِه بالمغفرة قدَّم نفسَه أيضًا، فالتّقديمُ للاهتمام بالمقدَّم والعناية به، وليس فيه تخصيصٌ.

الـفـرحُ بفضلِ الله وبرحمته

فائدةُ التّعبيرِ بعنوانِ الرّبوبيَّةِ:

عبّر الرَّجلُ المؤمنُ بعنوان الرّبوبيَّة فقال: ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾، ولم يقل: (بما غفر لي الله)؛ للإشعار بأنَّ مغفرتَه تعالى مِن جليلِ إحسانِه ونعمِه عليه، وأنَّه بعد مماتِه تجلَّى له إحسانُ ربِّه به، وعنايتُه له بمغفرتِه لذنوبِه، وليُرغِّبَ قومَه في الإيمان ليُغفر لهم، فيَلْقوا مِنَ الإحسان ما لَقيَ.

مـغـفـرةُ الـلـه تعالى من جليلِ إحسانِه ونعمِه على المغفور له

(1) الواحدي، التفسير الوسيط: 3/ 512، وأبو حفص النسفي، التيسير في التفسير: 12/ 351، وابن عطيّة، المحرر الوجيز: 4/ 451، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 268.

نُكتةُ التّعبيرِ بلفظ الجَعْلِ:

عبّر الرّجلُ المؤمنُ بلفظ الجَعْلِ في قولِه: ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ ولم يقل: (وصيّرني منَ المكرمين)؛ للإشعار بأَنَّه جعْلٌ عظيمٌ، وأَنَّه قد حوِّلَ إلى هيئةٍ جديدةٍ في الحال والمنزلةِ غيرِ الهيئة التي كان عليها، وأَنَّه ثابتٌ عليها.

نعيمُ الآخرةِ مِن شأنِه أنْ يُغايِرَ نعيمَ الدنيا

الجُزْءُ
الثَّالِثُ وَالعِشْرُونَ

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والأربعون،
سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 47 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-731-00-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 47 : المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-731-00-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0968178 بتاريخ 2025/01/23م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»